الطموح

في حياة الإنسان والمجتمع

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

قميش: مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت ـ لبنان

منشورات : مؤسسة أم أبيها ـ ثقافية ـ خيرية

كربلاء المقدسة / شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام
الفرع المقابل لقاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مقابل فندق ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
٠٠٩٦٤٧٧٠٢٧٨٧٧٨٣ / ٠٠٩٦٤٧٨١١١٦٩٥٩٦ / ٠٠٩٦٤٧٩٠٣٣٨٩٥٨٥
wazani_76@hotmail.com

الطموح

في حياة الإنسان والمجتمع

سورة المباركة الفاتحة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ

إِيّاكَ نَعْبُدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصّرَاطَ المُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضّآلّينَ

صدق الله العلي العظيم

الطموح في حياة الإنسان

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره الشريف)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الطموح لغة

قال في كتاب العين: الطمح لغة بمعنى الارتفاع، فطمح الفرس رأسه أي رفعه، وكذلك طمح يديه.

وقال الشاعر:

طمحت رؤوسكم لتبلغ عزنا

إن الذليل بأن يضام جدير[1]

---

(١) كتاب العين: مادة طمح.

وفي اللغة أيضاً [1]: رجل طماح: أي بعيد النظر.

وطمح ببصره إلى الشيء: ارتفع.

وطمح الفرس يطمح طِماحاً وطُموحاً: رفع يديه، يقال للفرس إذا رفع يديه: قد طمّح تطميحاً.

وكل مرتفع مفرط في تكبر: طامح وذلك لارتفاعه.

والطمّاح: الكبر والفخر لارتفاع صاحبه.

وبحر طموح الموج: مرتفعه.

وبئر طموح الماء: مرتفعة الجُمة[2].

وفي مجمع البحرين[3]: أطمح فلان بصره: رفعه. وكل مرتفع طامح، ومنه: «الحمد لله ذي الأفق الطامح»[4]، ومنه: «طمحت عيناه إلى السماء»[5] : أي ارتفعتا، وفي الحديث: «إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك»[6]، أي ترفعه إلى من هو أعلى منك في

---

(١) انظر لسان العرب: مادة طمح.

(٢) انظر لسان العرب: مادة طمح.

(٣) انظر مجمع البحرين: مادة طمح.

(٤) الكافي: ج٥ ص٣٦٩.

(٥) انظر بحار الأنوار: ١٥ ص٤١٠ ب٤.

(٦) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص٢٢٣ ب٩ ح١٨٠٦٥.

الغنى، وفي الدعاء: «طموح الآمال قد خابت إلا لديك»[1] والمعنى الآمال الطامحة، أي المرتفعة قد خابت إلاّ آمالنا العظيمة عندك.

من هنا تبين أن الطموح هو الارتفاع، وهو مطلوب للإنسان المسلم، فإن «الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه»[2] كما ورد في الحديث الشريف.

آية الطموح إلى المعالي

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**﴾[3]، إن هذه الآية الكريمة تعلّم الإنسان كيف يكون في الحياة ذا طموح كبيرة؛ وذلك بأن يكون طموحاً إلى الآخرة الباقية، وإلى نعيمها الدائم، ودرجاتها العالية وهو في الدنيا، وأن لا يكون ممن يقتصر همّه على الدنيا الزائلة الفانية، وعلى عمرها القصير، ونعيمها المشوب بالكدر.

ومن المعلوم أن المراد ليس ترك الدنيا مطلقاً، بل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ**﴾ يعني: في ضمن

---

(١) جمال الأسبوع: ص٢١٨ ف ١٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٣٤ باب ميراث أهل الملل. ح٥٧١٩.

(٣) سورة الإسراء: ١٩.

إرادته للدنيا، لكن الدنيا ليست هي الهدف، وكما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[1] أي: يعمل للآخرة كما يعمل للدنيا، ولم يأت بما ينافي الآخرة، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[2] بعد أن يقول: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ**﴾[3].

إذن الآية الكريمة تدل على ضرورة الاهتمام بالآخرة، وأن يطمح الإنسان دائماً نحو الأفضل، قال سبحانه: ﴿**وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا**﴾[4] أي: للآخرة، واللام هنا للاختصاص، أي: بأن يعمل العمل خاصاً بالآخرة فهدفه الأخير في أعماله كلها الآخرة، وأن يسعى السعي المناسب لها، واللائق بشأنها، ذلك بأن يعمل الأعمال الصالحة ـ وهي أعم من أداء الواجبات وترك المحرّمات ـ خالصاً لله تعالى ومن أجل الآخرة فقط.

وقوله: ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ أي: مؤمن بالله سبحانه

---

(١) سورة البقرة: ٢٠١.

(٢) سورة القصص: ٧٧.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

(٤) سورة الإسراء: ١٩.

وتعالى، والإيمان يكون ملازماً للاعتقاد بالتوحيد وصفات الباري عزوجل كالعدل وغيره، والإذعان بالنبوة والإمامة والمعاد، فإن من لا يعترف بإحدى الأصول المذكورة لا يعده الله سبحانه وتعالى مؤمناً، وكذلك العمل الصالح، فإنه بدون الإيمان لا يفيد، وقد تظافرت الآيات على تعيين كون المستفيد هو المؤمن، ومنها قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**﴾ أي: عند الله تعالى، وشكر الله سبحانه لهم هو إعطاؤهم جزاءهم، وإكرامهم على عملهم، والتفضل عليهم بالثواب والنعم، وهو في معنى قوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى**﴾[2].[3].

لذا فإن السعي إن كان للآخرة سعد الإنسان في الدنيا أيضاً، وفاز بالجنة والرضوان في الآخرة.

---

(١) سورة البقرة: ٣ـ ٤.

(٢) سورة النجم: ٣٩ـ ٤١.

(٣) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٥ ص٣١ سورة الإسراء.

أما إذا سعي للدنيا فقط ونسي الآخرة، فإنه سيحرم منهما معاً، فإن الدنيا لا تكون سعيدة إلا بالإيمان، كما ثبت في محله.

الإنسان والطاقات المودعة فيه

إن الطاقات التي أودعها الله تعالى في الإنسان، ليستعين بها في حياته كثيرة منها طاقات أربع:

١: الطاقة الذهنية.
٢: الطاقة البدنية.
٣: الطاقة الزمانية.
٤: الطاقة المالية.

ويرتبط بكل طاقة من هذه الطاقات الأربع، سلسلة من الأمور الكونية!

فالطاقة الذهنية: تدير الحركات الفكرية والجوانحية للإنسان، فإنها ـ مثلاً ـ يرتبط بها محور العلم والصفات النفسية، وذلك من غير فرق بين أنواع العلوم وأقسام الصفات النفسية، فالنحو والمنطق، وعلوم القرآن الحكيم وما يرتبط بالسنة الشريفة، والحساب والهندسة، والكيمياء والفيزياء، وعلم الفلك وغيرها من أنواع العلوم، وكذلك العدالة والأمانة، والشجاعة والشهامة، والكرم والسخاء، والإباء والغيرة، وغيرها من أقسام الصفات النفسية، كلها تتجمع عند الطاقة الذهنية.

والطاقة البدنية: تدير الحركات الحسيّة والجوارحية

للإنسان، من لامسة وذائقة، وشامة وسامعة، وباصرة وغيرها، فالحركة والسكون، والتجارة والزراعة، وتعبيد الطرق وبناء المساكن، وتأسيس الشركات وإحداث المصانع، وحفر المناجم وإخراج المعادن؛ كلّها تنبثق عن الطاقة البدنية.

والطاقة الزمانية: تمد الطاقتين الأوليتين بالوجود، فكل علم وصفة نفسية، وكل حركة وسكون مادي، فإنه يتدرّج في مراقي الكمال حتى يصل إلى ذروته المنشودة، ولولا هذه الطاقة لم يتم للكون عماد.

والطاقة المالية: تنظم مختلف نشاطات الحياة، فلولاها لم توزع العلوم توزيعاً منظماً، ولم تقسم الحاجات تقسيماً متوازناً.

وهناك طاقات أخر مودعة في الإنسان لها شأنها ومكانتها وتأثيراتها في حياته الخاصة والعامة.

الطاقات الإنسانية في ظل الإسلام

وهذه الطاقات الإنسانية الأربع وغيرها تتمتع في ظل الإسلام ـ على أثر الحرية الإسلامية ـ بازدهار ونمو لم يشهدها التاريخ من قبل، ولا يجدها الإنسان في دنيا اليوم، لا في البلاد الأجنبية التي لا تدين بالإسلام، ولا في البلاد الإسلامية التي ترزح تحت

نير الاستعمار[1] وهي بعيدة كل البعد عن التعاليم الإسلامية السمحة السهلة.

فعلى الإنسان أن يستغل هذه الطاقات الإنسانية، الاستغلال اللازم والمناسب لها؛ فلا يركن للنوم والكسل، بل يسعى بطموح وأمل نحو الأفضل، فعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال ـ في ذم النوم والكسل ـ: «من دام كسله خاب أمله»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: « للكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط، ويفرط حتى يضيع، ويضيع حتى يأثم»[3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام : «إني لأبغض الرجل يكون كسلان عن أمر دنياه، فهو عن أمر آخرته أكسل»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «إياك والكسل والضجر، فإن أبي بذلك كان يوصيني، وبذلك كان يوصيه أبوه، وكذلك في صلاة الليل، إنك إذا كسلت لم

---

(١) ونعني بالازدهار، تمتع الطاقة بكمالها اللائق بها، كما نعني بالنمو انطلاق الطاقة من دون أن يكبتها شيء وذلك في ظل الحرية الإسلامية وبركتها.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٣ ق٦ ب٥ ف٧ ح١٠٦٢٧.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٥ ب١٥ ح١٤٦٩٤.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٥ ب١٥ ح١٤٦٩٣.

تؤد إلى أحدً حقاً..»[1].

فعلى الإنسان الذي يطمح إلى حياة فضلى في الدنيا، وفوز بالجنة والغفران في الآخرة، أن يجد ويسعى، ويجنّد كل طاقاته: الذهنية، والبدنية، والزمانية، والمالية، بصورة معتدلة ومتوازنة، في خدمة الهدف المنشود، ويستعين بها على تحقيق كماله، وتوفير سعادته في الدنيا والآخرة.

أهل البيت عليهم السلام والطاقات الإنسانية

إن أفضل مدرسة تربوية تعلمنا طريقة الاعتدال في مزاولة الطاقات الأربع وغيرها من الطاقات، وتدربنّا على كيفية التوازن في الحياة هي: مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ إذ أن من خصائص المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام) التي خصّهم الله تعالى بها هي: كونهم أسوة الناس في كل خير وفضيلة، واعتدال وكمال، كما قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾[2] وهم عليهم السلام قد أخذوا على عاتقهم تقوية معنويات الناس، وتهذيب النفوس، وتعليمهم الاعتدال في الحياة اليومية؛ وقد بينوا للناس كثيراً من الأحاديث

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٥ ب١٦ ح١٤٦٩٦

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

والروايات الشريفة التي تنير لهم الدرب في مختلف أنحاء الحياة المادية والمعنوية، مضافا إلى سيرتهم الطيبة الكريمة، المفعمة بالمنطقية والتعقل، والاتزّان والاعتدال.

ولعل هذا هو المعنى الذي يفهم من زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الواردة عن الإمام السجاد عليه السلام والتي من جملتها: «السلام على يعسوب الإيمان، وميزان الأعمال»[1]، إشارة إلى أن قول الإمام عليه السلام وعمله وتقريره هو مقياس الصواب في كل جوانب الحياة، وميزان الاعتدال في جميع الأمور، فإذا اقتدى الناس بأخلاق أهل البيت عليهم السلام وطّبقوا سيرتهم، وانتهجوا مواقفهم في الحياة، سعدوا في الدنيا، وفازوا في الأخرة.

وما نراه اليوم من التخلف والتأخر عند المسلمين وغيرهم كله بسبب الابتعاد عن منهج القرآن الكريم، وسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

أهل البيت عليهم السلام: قدوة وأسوة

عن محمد بن مسلم قال الإمام الباقر عليه السلام: «كل من

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٢٢٢ ب٢١ ح١١٩٠٠.

دان الله عز وجل بعبادة، يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير، والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبةً وجائيةً يومها، فلما جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فباتت معها في مربضها، فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرةً تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فصاح بها الراعي: ألحقي براعيك وقطيعك؛ فأنت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرةً متحيرةً تائهةً، لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها، أو يردها، فبينا هي كذلك إذا اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها. وكذلك والله يا محمد، من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل، ظاهر عادل، أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق. واعلم يا محمد، أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد».[1]

---

(١) الكافي: ج١ ص١٨٣ باب معرفة الإمام والرد إليه ح٨.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرحٍ علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذاكً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن»[1].

هذا ولكن الظالمين من الحكام وأتباعهم، كأصحاب السقيفة وبني أمية وبني العباس، سعوا في إطفاء هذا النور الرباني، فمنعوا الناس من الأخذ بعلوم أهل البيت عليهم السلام ، ومنعوا التاريخ من تدوين كل ما صدر عنهم من كلمات وسيرة نورانية..

وهذا ظلم كبير في حق جميع الأجيال، وظلم بشع على البشيرة بأجمعها.

وإن كان في ما وصلنا من أقوال المعصومين عليهم السلام وأفعالهم من علوم ومعارف وأخلاق وآداب وأحكام ما يغني البشر في مختلف أنحاء حياته الدنيوية والأخروية.

وعلى أي حال: فإن من يقرأ ما ورد في التاريخ من سيرة الأئمة عليهم السلام ويراجع ما ثبت في الكتب المختصة من أخلاقهم وآدابهم مع ذويهم ومحبيهم، وكذلك مع مناوئيهم وأعدائهم، فإن ذلك سيكون

---

(١) الكافي: ج١ ص١٨٣ باب معرفة الإمام والرد إليه ح٧.

بالنسبة له منبعاً زلالاً، ومقياساً عادلاً يهديه إلى الخير، وإلى الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة.

التوازن في كل شيء

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شيءٍ مَوْزُونٍ**﴾[1] أي: ذات توازن ومع اتزان، فالنبات ـ كما نراه ـ ليس فيه أي اعتباط في مقدار حجمه وشكله ولونه وسائر مزاياه، بل كل ذلك بالوزن والتقدير. وليس المراد بالوزن: معناه الخارجي، بل تشبيه بالموزون الذي ليس فيه زيادة ونقصان، يقال: فلان شخص موزون، أي: دقيق الصفات متساوي الجهات، لا زيادة في حركاته وسكناته ولا نقصان[2]. والإنبات في هذه الآية الكريمة بالمعنى الأعم، فيشمل الإنسان أيضاً؛ لأن النبات هو الخارج بالنمو حالاً بعد حال، كما هو واضح في آية أخرى تقول: ﴿**وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَباتاً**﴾[3].

فالإنسان أيضاً كسائر المخلوقات خلق بميزان وفي جميع مراحل الخلق.

وهذا التوازن الكامل الشامل مما يمتاز به الباري

---

(١) سورة الحجر: ١٩.

(٢) تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٤ ص٢٦ سورة الحجر.

(٣) سورة نوح: ١٧.

عزوجل، أما غيره فلا، فإننا إذا لاحظنا المهندس وهو يخطط لبناء بيت جميل أو مشروع كبير مثلاً، فإنه ترى مشروعه قبل وضع اللبنات الأخيرة مفتقداً لكثير من مواطن الجمال والكمال، أما في خلق الله فإنه كما قال تبارك وتعالى: ﴿**ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ**﴾[1] لأن جميع المخلوقات قد دبرت على أكمل وجه وفي جمي مراحلها، وفي غاية الدقة والكمال[2].

فإنه عزوجل يقول: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[3] أي: إنه تعالى خلق كل شيء مقدّراً بمقدار توجبه الحكمة، ولم يخلقه جزافاً ولا ناقصاً، سواء في المخلوقات الصغيرة كالنملة ـ مثلاً ـ أو في المخلوقات الكبيرة كالفيل ـ مثلاً ـ هذا بالنسبة إلى الحيوانات، وكذلك في سائر المخلوقات من الكواكب والمجرات وما أشبه، فكل ما يحتاج إليه المخلوق فقد حباه الله تعالى به ووهبه له؛ لأن الله تعالى ليس بخيلاً، بل هو فياض مطلق، قد أعطى كل شيء قدره، وبحسب

---

(١) سورة الملك: ٣.

(٢) راجع مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠ ص٦٩ سورة الملك. والتبيان في تفسير القرآن: ج١٠ ص٥٩ سورة الملك.

(٣) سورة القمر: ٤٩.

قابليته الذاتية: ﴿**فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ**﴾[1].

وهناك أدلة علمية كثيرة تدل على أن مخلوقات الله تعالى قد خلقت بميزان دقيق[2].

---

(١) سورة المؤمنون: ١٤.

(٢) راجع مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠ ص٦٩ سورة الملك. والتبيان في تفسير القرآن: ج١٠ ص٥٩ سورة الملك.

الكون والحياة متوازنان

نعم، إن الله سبحانه وتعالى أجرى الأمور في هذه الدنيا على أساس من الدقة والحكمة، والتحديد والتنظيم، حتى نرى أن النملة الواحدة على صغر حجمها ووهن شأنها على ما يبدو للبعض، خُلقت في غاية الدقة والكمال، وهنا تتجلى عظمة الخالق في مخلوقاته، فقد جعلها سواءً في حكمته ورحمته، فالفيل الضخم الجسم يوازي النملة الدقيقة الجسم من حيث الكمال والنظام؛ ولذا تقول الآية المباركة: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ**﴾[1].

ومعناه: ﴿ما تَرَى﴾ أيها الرائي ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ﴾ واختلاف، من جهة أن الجميع مخلوقة بدقة وإتقان وكمال لائق به ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي ردّه إلى الكون، بعد أن كان سابقاً إليه، وكأنه كان ناظراً بلا التفات إلى هذه الجهة، فقيل له: ردّ بصرك بقصد التفحص والبحث ﴿هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ﴾؟ أي شقوق وفتوق، كالبناء الذي ينفطر لخلل فيه، فهل في الكون خلل يدل على الوهن والضعف، أم كل شيء وضع في محله اللائق به حسب الحكمة والصلاح؟ ﴿ثُمَّ

---

(١) سورة الملك: ٣.

ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: كرة بعد كرة، والمراد مكرراً، إذ لعل البصر اشتبه في المرة الأولى، فلم يرَ فتقاً ـ فإن الإنسان إذا كرر النظر إلى شيء أدرك خلله ـ فانظر إلى الكون مرة أخرى فاحصاً عن الخلل، لكنك لا تجده.

فإن تكرار النظر مرتين يفيد التأكد والإمعان؛ لأن من نظر إلى شيء كرة بعد أخرى بان له ما خفي عليه، وظهر له ما بطن بوضوح وجلاء.

بل ﴿يَنْقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ﴾ أيها الإنسان ﴿الْبَصَرُ﴾ الذي سرحته في الكون ﴿خاسِئاً﴾ قد خسء وطرد وعجز عما طلبه من الفتق ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ قد حسر، أي: كلّ وعيّ ولم يجد خللاً ووهناً، وما يوجد من الأمراض وما أشبه إنما هو للامتحان والعبرة ولأسباب أخر مذكورة في مظانها، لا لنقص في الخلق[1].

التوازن: السمة العامة للأشياء

من هنا يظهر للباحثين أن التوازن سمة عامة لجميع مخلوقات الله تبارك وتعالى، صغيرها وكبيرها، فإنها خلقت بالدقة والعناية الكاملتين من قبله الباري عزوجل، وأفعاله كلها وإن كانت متفاوتة في

---

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢٩ ص١٥ سورة الملك.

الصور والهيئات في خلق الأشياء، إلا أنها سواء في المصلحة والحكمة.

فاذا أخذنا الزرافة مثلاً، وتأملنا القرنين القصيرين فوق رأسها، وجدنا أن فيهما ـ على عكس ما يتوهمه البعض ـ حكمة بالغة، فقد أكد الباحثون في علم الحيوان توصلهم إلى بعض الحكمة الكامنة في ذلك، قالوا: إن جسم الزرافة عظيم وكبير، تعلوه رقبة ممتدة وطويلة، ولهذا فهي تحتاج إلى مضخة قوية تستطيع ضخ كميات من الدم وإيصالها إلى قمة رأسها المرتفع، ونتيجة لذلك تتولّد في جسم الزرافة كمية كبيرة من الحرارة ناشئة من حركة الدم القوية، وهو الأمر الذي يستدعي إيجاد منافذ تهوية وتخفيف درجة الحرارة، ولهذا السبب نجد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق هذين القرنين، وجعلهما أجوفين، ووضعهما على رأس الزرافة، حتى تتم عملية ضخ الدم من قبل القلب بسلامة ولا تسبب الحرارة الناشئة من تلك العملية ضرراً.

وهذه الحكمة الإلهية الدقيقة سارية في جميع المخلوقات تكويناً، بل حتى في التشريعات، كما قال سبحانه: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾[1].

---

(١) سورة الرعد: ٨.

فإن كل الأمور والأشياء التشريعية والتكوينية تكون خاضعة للمصلحة والحكمة، وتابعة لقانون الأسباب والمسببات، إذ قد جعل الله لكل شيء طريقاً وسبباً ﴿**وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾[1]، ولكل أمر علة وسبباً، كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً**﴾[2].

ثم إن الآية الكريمة تشير أيضا إلى حرية الإنسان في أفعاله، وعدم الجبر فيها، فالكفر وإتيان المعاصي لا يكونان من جبر الله تعالى للبشر، بل من فعل الإنسان الذي جعله الله سبحانه مخلوقاً مختاراً حراً ذا إرادة، له أن يختار الإيمان والطاعة، وله أن يختار الكفر والعصية.

الطموح والأمل مقدمتا التوازن

إن الأمة الفاقدة للطموح والأمل ـ بمعناه الصحيح ـ المستتبع للصمود والعمل، واللذين هما مقدمتا التوازن والتعادل، سوف تواجه أياماً صعبة فاقدة للتوازن والتعادل مهما كانت طاقات تلك الأمة كبيرة، وإمكاناتها كثيرة، ففي العراق ـ مثلاً ـ رغم كون

---

(١) سورة البقرة: ١٨٩.

(٢) سورة الكهف: ٨٤.

الأغلبية فيه هم من شيعة أهل البيت عليهم السلام وهذا ما يثبته حتى الإحصاءات الرسمية، وقد صرح مدير عام دائرة الأحوال المدنية، وإحصاء النفوس أيام رئاسة عبد السلام عارف [1] أن (٨٥%) من السكان هم

((١))عبد السلام محمد عارف، من مواليد عام (١٣٣٩هـ ـ ١٩٢١م) في مدينة الرمادي، كان من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار، اشترك مع عبد الكريم قاسم عام (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م) في الإطاحة بالنظام الملكي، وبعد اختلافه مع قاسم أقصي من مناصبه، عيّن سفيراً في العاصمة الألمانية، ثم ألقي القبض عليه وأودع السجن وصدر حكم الإعدام عليه بتهمة التآمر وعفي عنه بعد أن قضى أكثر من سنتين في السجن. تحالف مع البعثيين وأطاح بنظام عبد الكريم قاسم في (١٤ رمضان ١٣٨٢هـ ـ ٨ شباط عام ١٩٦٣م) فأصبح رئيساً للجمهورية ومنح نفسه رتبة مشير. اتّسم حكمه بالكبت والإرهاب والعنصرية القبلية والمناطقية، كما عرف بالتعصب المذهبي. اهتم بتعيين الأقارب وأبناء العشيرة والبلدة والقبيلة في الحكم، وأسند المناصب الحكومية العليا لهم بغض النظر عن المؤهلات والكفاءات. انقلب على البعثيين في عام (١٩٦٣م) وأقصاهم من الحكم، ونكل بهم، وأصدر كتاباً ضدّهم سمّاه: المنحرفون، وصم البعثيين فيه بكلّ قبيح. قُتل مع عددٍ من الوزراء في عام (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م) إثر سقوط طائرته قرب البصرة، ويرى البعض أنّ موته كان عملية مدبّرة نتيجة وضع قنبلة في الطائرة. وقد تصدى سماحة السيد الشيرازي دام ظله لمعارضته ومحاربة حكومته بكل الوسائل السلمية، وسائر علماء الدين وقفوا منه هذا الموقف المشابه لما كان يمارسه من أعمال مخالفة للأحكام الإسلامية؛ وبلغ من تعصبه وتطرفه حداً أنه اهتم ببناء قبر معاوية بن أبي سفيان في دمشق الشام، وكان قد خصّص ميزانية ضخمة لذلك، محاولة منه لأحياء الصرح الأموي المنهار، الذي كتب الله له الإنهيار لظلمه ←

الشيعة، ولكننا نرى شيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق رغم كونهم أكثرية لكنهم مستضعفين مضطهدين مظلومين ومقهورين، مهضومة حقوقهم، ومغصوبة مناصبهم، قد صادرت الأقلية ـ وخلافاً لكل الأعراف والقوانين الدولية ـ حقوقهم المشروعة لهم، واستبدّت بمناصبهم الخاصة بهم، وأخذت بزمام الحكم الذي هو لغيرهم، وراحت تتحكم بهم وبرقابهم، وأجرت عليهم الظلم والويل مما ليس له نظير، وما ذلك إلاّ بسبب افتقاد الأكثرية ثقافة الطموح والأمل، المستتبع للصمود والعمل. ومن المعلوم: أن الذي لا يصمد أمام المشكلات، ولا يعمل من أجل التقدم، فإنه لا يستطيع أن يحقق طموحه وآماله، ولا أن ينال ما يتمناه ويتوقعه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الشيعة إذا فقدوا الطموح والأمل

نعم، إن أكثر الإمكانات والثروات، وأغلب منابع القدرة والطاقة في العراق هي ملك الأكثرية، وهم الشيعة، وأما القوميون والاشتراكيون والشيوعيون

→

وخروجه على إمام زمانه: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. انظر كتاب (تلك الأيام) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه).

والبعثيون[1] فهم الأقلية، وهم المنبوذون عند الجميع،

---

(١) القومية: حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى إقامة دولة موحدة للعرب، على أساس رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، في مقابل رابطة الدين التي تجمع بين المسلمين كافة، وقد تولدت هذه الحركة من خلال دعاة الفكر القومي الذين ظهروا في أوروبا. ولا يخفى أن أكثر رعاة القومية هم من المستشرقين وتلاميذهم، أمثال ميشيل عفلق وأضرابه. وكانت بدايات الفكر القومي في الوطن العربي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكانت دعوة القومية العربية محصورة في بداياتها في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وعدد محدود من المسلمين الذين تأثروا بها، أشهر من تبنى الدعوة إليها: ساطع الحصري وميشيل عفلق وجمال عبد الناصر وغيرهم وسخروا لها أجهزة الإعلام الواسعة وإمكانيات الدولة. كما يعد (ساطع الحصري المتوفى ١٩٦٨م) داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية النصراني (ميشيل عفلق) أحد مؤسسي (حزب البعث).

ومن أهم مقومات القومية العربية هي: اللغة العربية، والدم، والتاريخ المشترك، والأرض، والآلام والآمال المشتركة، أما الدين فإنهم لا يعدّونه من مقومات القومية العربية، بل يحارب بشراسة؛ لأنه بزعمهم يُفرّق العرب ولا يوحدهم، ولا يخفى أن الاستعمار يساعد على وجود القوميات، وذلك لإبعاد المسلمين والعرب منهم خاصة عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها.

❖ وأما الاشتراكية: فهي نظام اقتصادي، مقابل نظام الرأسمالية الاقتصادي، ومساوئ الاشتراكية أكثر بكثير من مساويء الرأسمالية؛ إذ لها كل مساوئ الراسمالية مضافاً إلى مساوئها الخاصة بها.

❖ وأما الشيوعية: فهي مذهب سياسي يهدف إلى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة. وهي من أشد المذاهب الاشتراكية تطرفاً، وتتميز بأنها حركة ثورية عنيفة، ←

→

تدعي إنشاء مجتمع يتساوى أفراده في الحقوق ولا يكون إلا باستعمال القوة المسلحة ؛ فهي لذلك تحارب الديمقراطيات وخاصة التي تشجع الرأسمالية. ويرجع ظهور الحركة الشيوعية في روسيا إلى عام (١٩٠٣م) عندما انشق أتباع كارل ماركس إلى معسكرين : إصلاحي وراديكالي بزعامة لينين. فلما حاز هذا الأخير الأغلبية عرف بحزب الأغلبية التي يعبر عنها في الروسية بكلمة : بولشفيك، ومن هذا قامت العلاقة اللفظية بين البولشفية والشيوعية. تميزت سياسة لينين (ومن بعده تروتسكي) بمحاولة نشر المبادئ الشيوعية في العالم باستخدام القوة، وذلك بتشجيع الثورة بين الطبقات العاملة في المجتمعات الرأسمالية، لهذا تناهض الشيوعية القوميات والديانات، وتطلب من الشيوعي الولاء التام لعقيدته ولزعمائه.

❖ وأما البعثية : فهي مذهب سياسي يجمع بين مساوئ القومية ومساوئ الشيوعية، فهو الحزب الذي يحمل السوأتين، وقد حكم العراق بعد عام (١٩٦٨م) وهو حزب قومي علماني يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم الإسلامية والعربية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، وفي نيسان (١٩٤٧م) تم تأسيس حزب تحت اسم (حزب البعث العربي)، وكان المؤسسين : صلاح البيطار، جلال السيد، ميشيل عفلق، زكي الأرسوزي، ثم اندمج كل من حزب (البعث العربي) وحزب (العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد سمي (حزب البعث العربي الاشتراكي). استولى الحزب على السلطة في العراق في (٨ من شباط ١٩٦٣م) بانقلاب على نظام عبد الكريم قاسم، وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرسا وأحداثاً دموية رهيبة في العراق، فتشكلت أول حكومة بعثية، وإثر نشوب خلاف بين أفراد هذا الحزب اغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة فقام بالانقلاب عليهم وترأس الحكومة في (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م). وفي (١٧/ تموز/ ١٩٦٨م) قام البعثيون بانقلاب آخر أسقط نظام عبد الرحمن عارف، فأصبح أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية وقائدا للجيش، وأصبح صدام التكريتي نائباً له، ومسؤولاً عن الأمن
←

وقد رفضهم الشعب، ولم يقبل بهم أحد إلا القليل النادر جداً، فإنهم قد جاءوا عبر الانقلاب العسكري البغيض، وأخذوا بزمام الأمور قهراً وقسراً، وسيطروا على الحكم بقوة الحديد والنار، وتحكّموا برقاب الأكثرية، حكماً استبدادياً دكتاتورياً، ليس فيه من الرحمة شيء، ولا من العدل أثر ولا علامة، قد فرضوا سيطرتهم عليهم، وبسطوا هيمنتهم فيهم، فهدروا كراماتهم،

→

الداخلي. تمت تصفيات عديدة في صفوف قادة الحزب كان مدبرها ومخططها صدام التكريتي، ولم يبق على قيد الحياة من الذين شاركوا في انقلاب عام (١٩٦٨م) سوى عزت الدوري وطه الجزراوي وطارق عزيز.

أما عن سلوكيات ومبادئ حزب البعث في العراق، فقد نادى مؤسس الحزب بضرورة الأخذ بنظام الحزب الواحد؛ وتركز سياسة الحزب على قطع كافة الروابط بين العروبة والإسلام، وتنادي بفصل الدين عن السياسة، والمساواة بين شريعة حمورابي وشعر الجاهلية وبين الدين الإسلامي. وادعت سياسة الحزب أن تحقيق الاشتراكية شرط أساسي لبقاء الأمة العربية ولإمكان تقدمها، وقام بتجريد الدستور العراقي من كل القوانين التي لها صلة بالإسلام، فأصبحت العلمانية هي دستور العراق، ومعتقدات صدام وحزبه هي مصدر التشريع لقوانينه. فقام بقتل علماء الدين وتعطيل الحوزات العلمية، وإغلاق المساجد والحسينيات والمراكز الإسلامية؛ لمجرد أن الشباب المسلم يلتقي فيها، وقام بإلقاء القبض على من يتردد إليها، وتتابعت القرارات بإعدام الآلاف من الشخصيات الإسلامية. كما قام بمحاربة الحجاب الإسلامي بين الفتيات المسلمات وخاصة في المدارس والجامعات، وتشجيع العلاقات غير الشرعية بين الفتيان والفتيات، وتشجيع الفساد في كافة المجالات.

وصادروا حقوقهم، وكمّموا أفواههم، وملئوا بهم السجون، وعمّروا منهم المقابر، كل ذلك نتيجة عدم ثقافة الطموح والأمل المستعقب للصمود والعمل، العمل المبتني على العلم والمعرفة، وعلى الوعي واليقظة، وذلك ما أشار إليه النبي الأكرم ﷺ بقوله: «العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله»[1].

وعليه: فإنه لا يوجد أمام شيعة العراق، بل أمام كل المسلمين، طريق سوى طريق الطموح والأمل، المستتبع للصمود والعمل، والمبتني على العلم واليقظة، حتى ينالوا الخير كله، ويبتعدوا عن الشر كله، وذلك كما جاء في ما ذكر من قول الرسول ﷺ، وهو بالضبط ما تمتع به المسلمون الأوائل، وعملوا به في الصدر الأول، فنالوا بذلك الرقي والتقدم، والنموّ والازدهار.

أجل، إن أغلب المسلمين اليوم فقدوا طموحهم وأملهم، وتقاعسوا على أثر ذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقعدوا عن نشر الإسلام العظيم، ونشر معارف القرآن الحكيم، ونشر ثقافة الرسول الكريم ﷺ وتعاليم أهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، وبدلاً عن ذلك صار أكبر طموحهم وأملهم هو نيل الراحة

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٧٧ ب٧ ضمن ح٩.

والرفاه، وقضاء الوطر بالمتع الدنيوية الدنية، ومباهجها الفانية، مثل: الحصول على بيت مناسب، وغذاء جيد، ومركب مريح، وزوجة جميلة، وإلى آخره.

ورغم أن هذا النوع من الطموح والأمل مباح ومشروع في الإسلام، وإن الإسلام لا يمنع أحداً من التمتع الحلال بالنعم الالهية التي خلقت له في هذه الحياة، ولكن ليس هذا هو كل شيء حتى ينحصر الطموح والأمل فيه، بل لابد للإنسان أن يرتفع معنوياً أولاً، ثم يرتقي مادياً ثانياً.

الطموح إلى الآخرة

قال تبارك وتعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ**﴾[1]. أي: كن وأنت تعيش في الدنيا طموحاً إلى الآخرة، وذلك بأن تطلب فيما أعطاك الله في الدنيا من مال وجاه وقدرة وما أشبه لكسب الدار الآخرة بأن تنفقه في سبيل الله، وتضعه في مرضاة الله، وقوله تعالى: ﴿**وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ أي لا تترك الطلب المشروع للرزق الحلال، وطلب الزوجة الصالحة، وطلب الأولاد الصالحين، وطلب المسكن الواسع، والمركب الفاره، وما إلى ذلك، مما احلّه الله

---

(١) سورة القصص: ٧٧.

تعالى للإنسان، فإن الله سبحانه لا يحب للإنسان الرهبنة في الدنيا، وترك طلب المعاش الحلال، والركون إلى العزلة والخمول.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «إني أجدني أمقت الرجل متعذر المكاسب، فيستلقي على قفاه، ويقول: اللهم ارزقني، ويدع أن ينتشر في الأرض، ويلتمس من فضل الله، فالذرة [1] تخرج من جحرها تلتمس رزقها»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل النملة؛ فإن النملة تجرّ إلى جحرها»[3].

وعليه: فكما ينبغي للإنسان أن يعمل جاهداً على أن يوفر لنفسه ولأسرته ولمجتمعه، عيشة هانئة ووديعة في الدنيا، فكذلك ينبغي له أن يعمل جاهداً على أن يحقق لنفسه ولأسرته ولمجتمعه آخرة منعمة وكريمة، ولا يتحقق ذلك إلا في ظل تعاليم أهل البيت عليهم السلام واتبّاع سيرتهم الطيبة، ومنهجهم السليم والمستقيم.

---

(١) الذرة، أو الذر هو صغار النمل.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٠ ب٦ ح٢١٩٠٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٢٢ ب٤ ح٢١٨٨٠.

الحج: تدريب على الطموح

قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[1].

الحج: بمعنى القصد، سمي به العمل الخاص والمناسك المعينة، وهو: قصد مكة في أشهر الحج، وإتيان المناسك طموحاً إلى الآخرة، وهو الذي شرّعه أولاً أبونا آدم عليه السلام بتعليم من جبرائيل الأمين، ثم جدّده خليل الله النبي إبراهيم عليه السلام ثم أكدّه حبيب الله النبي الخاتم وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله تعالى، وإبلاغ من أمين الوحي جبرائيل عليه السلام. والحكمة في ذلك الوفادة إلى الله عز وجل، والطموح إلى آخرة منعّمة وكريمة، والخروج من كل ما أساء الإنسان واقترف، والتوبة منه، والندم عليه، والعزم على عدم العود إليه، والتمرين على الإنفاق في سبيل الله، وتحمّل المشاقّ لمرضاة الله، وكفّ النفس عما يُسخط الله؛ وذلك لما في الحج من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، والعزوف عن الشهوات واللذات، والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل، والخضوع والخشوع، والذل والاستكانة لله تبارك وتعالى، والشخوص إلى

---

(١) سورة الحج: ٢٧.

البيت العتيق في الحر والبرد، والأمن والخوف، وترويض للنفس على التخلي من مذموم الصفات، والتحلي بطيب الخصال، وبترك الجفوة والقسوة، والغفلة والترهّل، والالتزام بالرفق واللين، والنشاط واليقظة، والرهبة من الله تعالى، والانقطاع إليه، وهو تمرير لمعائش الكثير من الخلائق، والكثير من جماعة الناس من أهل المشارق والمغارب، وعمّال البر والبحر، وروّاد الفضاء والجو، من يحج ومن لا يحج، من تاجر وجالب، وبائع ومشتر، وكاسب ومحترف وغير ذلك، ونفع لأهل الأكناف والأطراف، ولأهل البلاد والديار الممكن لهم الاجتماع فيها، وذلك كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ**﴾[1].

الطموح ومنافع الحج

إن من منافع الحج هو: ما يتعلّمه الإنسان كيف يكون طموحاً في دنياه، وكيف يكون طموحاً في آخرته، وذلك لآن منافع الحج ليست مقتصرة على الآخرة، بل تعم الدنيا أيضاً.

وعليه: فإن منافع الحج نوعان:

النوع الأول: منافع دنيوية، وهي المنافع المادية،

---

(١) سورة الحج: ٢٨.

والتي تسبّب أن تتقدم بها حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، وأن يصفو بها العيش وينقى، وأن تقضى بها الكثير من الحوائج، وتكمل بها الكبير من النواقص، وذلك في مختلف المجالات ومتنوع الأبعاد: من اقتصاد وسياسة، وحقوق وولاية، وآداب وسنن، وأحكام وعبادات، وغير ذلك من شتى المحاورات البناءة، والتعاضدات الاجتماعية المفيدة وغيرها.

وفي الحج اجتماع الأقوام والأمم، من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها، على ما هم عليه من اختلاف الألسن والألوان، والأنساب والأعراق، والسنن والآداب، ثم تعارفوا بينهم واجتمعوا على كلمة واحدة، هي كلمة الحق، وهو: الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، العادل الذي لا يظلم أحداً، ولا ينقص حق أحد، والإيمان برسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبأهل بيت نبيه المعصومين عليهم السلام، وبالأخذ منهم، والسير على هداهم، والتمسك بحبل ولائهم، والتوجّه معه جميعاً إلى الكعبة البيت الحرام، واستعان قوم بآخرين في حل مشاكلهم، وأعانوهم بما في مقدرتهم، وتم التواصل بين المجتمعات من أجل الرقي والتقدم، ثم امتزجت المجتمعات فكونت مجتمعاً وسيعاً، له من العدد والعدة ما لا تقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أي قوة جبّارة وعاتية في الأرض.

ومن المعلوم أنه لا وسيلة لحل مشكلات الحياة كالتعاضد، ولا سبيل إلى التعاضد كالتفاهم، ولا تفاهم كالذي هو موجود في ظل القرآن الحكيم وتعاليم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

النوع الثاني: منافع أخروية، وهي المنافع المعنوية، والتي تسبّب التقرب إلى الله سبحانه بما يمثل عبودية الإنسان لله تعالى، عبودية خالصة في الظاهر والباطن، وبالقول والفعل، وبما تتضمنه مناسك الحج من أنواع العبادات والطاعات، والقربات والتوجهات إلى الله واليوم الآخر، وبما يستلزم أداء المناسك من ترك الدنيا والغض عن مشاغل العيش، والتوجه للآخرة، وتحمل مشاق العبادة من الطواف حول البيت والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات والمزدلفة، والمبيت في صحراء منى والعبادة في مسجد الخيف، وغير ذلك.

مخاوف الاستعمار من طموح المسلمين

لقد علم الاستعمار بأسرار الحج وما يبعثه من طموح في نفوس المسلمين، فأخذ يخطط لتحطيم هذه الشعيرة المقدسة وتفريغها ـ على الأقل ـ من الطموح والأمل الذي فيها، لخوفه من تلاقي المسلمين واجتماعهم من جميع أنحاء العالم، على مختلف قومياتهم وأصنافهم وأشكالهم وأنواعهم، وتشكيلهم هناك وحدة واحدة، مؤلفة قلوبهم وكلمتهم، بعيدين عن حكّامهم ورؤسائهم، تجد نفوسهم الصفاء، وقلوبهم الحنان، خالية من الغيظ والكراهية، وقد اجتمعوا على حب الله وعلى الطموح إلى رضا الله بجنّة الآخرة.

وعلى أي حال، فإن الاستعمار علم بالفوائد الجمّة التي يقدمها الحج للمجتمع الإسلامي، لذلك خطط هو، وأوعز إلى الحكومات العميلة أو السائرة في ركابه، أن تبذل كل جهدها ومجهودها في سبيل تضعيف أهمية الحج في نفوس المسلمين، وتغيير مناهجه، وجعل معطياته معكوسة سلباً على المسلمين.

القضاء على طموح المسلمين

أوعز الاستعمار ـ ولأجل تحجيم طموح المسلمين وتحديد مخاوفه من تقدمهم ورقيهم ـ إلى بعض الحكام المسيّرين في البلاد الإسلامية للإعلان عن تحديد عدد الحاج، وتخفيضه إلى أقل عدد ممكن، وعلى أثره تم

الإعلان في أحد السنين: عن أن عدد الحاج الذين سوف يسمح لهم بالحج لهذه السنة يجب أن لا يتجاوز المليون حاج؛ وذلك بعد تقديم حجج واهية، وأعذار موهونة ومشبوهة[1].

هذا وقد ورد في التاريخ، وفي يوم كانت الإمكانات المادية والخدمات الاجتماعية، على بساطتها، بل وانعدامها، حيث كانت تعدّ صفراً في قبال الإمكانات المادية والخدمات الاجتماعية الموجودة في هذا اليوم، وبالضبط في زمن الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه بلغ عدد المسلمين الذين قصدوا حج بيت الله الحرام ووقفوا بعرفات والمشعر الحرام: أربعة ملايين وخمسمائة ألف حاج!!

طموح المسلمين في صدر الإسلام

نعم، فقد روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: «قال علي بن الحسين عليه السلام وهو واقف بعرفات[2]، للزهري[1]: كم تقدر ها هنا من الناس؟.

---

(١) وهو الحال في كل عام حيث تم تحديد عدد الحجاج نسبة إلى عدد سكان كل بلد ووفق ضوابط وعراقيل عديدة، مضافاً إلى سوء الخدمات والمصاريف العالية التي يواجهها المسلم في الحج بحجة التنظيم والادارة...

(٢) عرفة، وعرفات: موضع وقوف الحجاج يوم عرفة التاسع من ذي الحجة، وهو على بعد اثني عشر ميلاً من مكة المكرمة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «حد عرفات من ←

قال: أقدّر أربعة ألف ألف وخمسمائة ألف[٢] كلهم حجاج، قصدوا الله بأموالهم، ويدعونه بضجيج أصواتهم.

فقال عليه السلام له:.. من حج ووالى موالينا، وهجر معادينا، ووطن نفسه على طاعتنا، ثم حضر هذا

→

المأزمين إلى أقصى المواقف». وعنه عليه السلام قال: «حد عرفة من بطن عرنة وثوية ونمرة إلى ذي المجاز، وخلف الجبل موقف إلى وراء الجبل». وهذه الروايات تبين حدود عرفة من جهات متعددة.

(١) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. قال الشيخ في رجاله: عدّوه من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام. وقال ابن شهر آشوب: كان الزهري عاملاً لبني أمية فعاقب رجلاً فمات الرجل في العقوبة، فخرج هائماً فتوحش ودخل الغار، فطال مقامه تسع سنين، وقال: وخرج علي بن الحسين عليه السلام فأتاه الزهري فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «إني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلمة إلى أهله، وأخرج على أهلك ومعالم دينك» فقال له: فرجت عني يا سيدي، ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ سورة الأنعام: ١٢٤. ورجع إلى بيته ولزم علي بن الحسين عليه السلام وكان يعد من أصحابه، ولذا قال له بعض بني مروان: يا زهري، ما فعل نبيك؟ يعني علي بن الحسين عليه السلام... المناقب: ج٤ ص٢٣٢. وفي المعجم: محمد بن مسلم الزهري المدني: تابعي.. ولد سنة اثنتين وخمسين ومات سنة أربع وعشرين ومائة، وله اثنتان وسبعون سنة، وقيل: سبعون سنة، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. روى الزهري عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام. معجم رجال الحديث: ج١٨ ص٢٧٠ تحت الرقم ١١٨١٤ترجمة محمد بن مسلم الزهري.

(٢) أي أربعة ملايين وخمسمائة ألف إنسان!!

الموقف مسلّماً إلى الحجر الأسود ما قلده الله من أماناتنا، ووفياً بما ألزمه من عهودنا، فذلك هو الحاج، والباقون هم من قد رأيتهم. يا زهري، حدثني أبي عن جدي رسول الله ﷺ أنه قال: ليس الحاج المنافقين المعادين لمحمد وعلي ومحبيهما، الموالون لشانئيهما، وإنما الحاج المؤمنون، المخلصون الموالون لمحمد وعلي ومحبيهما، المعادون لشانئهما، إن هؤلاء المؤمنين الموالين لنا المعادين لأعدائنا، لتسطع أنوارهم في عرصات القيامة على قدر موالاتهم لنا، فمنهم من يسطع نوره مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، وهو جميع مسافة تلك العرصات، ومنهم من تسطع أنواره إلى مسافات بين ذلك، يزيد بعضها على بعض على قدر مراتبهم في موالاتنا، ومعاداة أعدائنا، يعرفهم أهل العرصات من المسلمين والكافرين بأنهم الموالون المتولون والمتبرءون، يقال لكل واحد منهم: يا ولي الله، انظر في هذه العرصات إلى كل من أسدى إليك في الدنيا معروفاً، أو نفّس عنك كرباً، أو أغاثك إذ كنت ملهوفاً، أو كف عنك عدواً، أو أحسن إليك في معاملته، فأنت شفيعه، فإن كان من المؤمنين المحقين زيد بشفاعته في نعم الله عليه، وإن كان من المقصرين كفي تقصيره بشفاعته، وإن كان من الكافرين خفف من عذابه بقدر إحسانه إليه. وكأني بشيعتنا هؤلاء يطيرون في تلك العرصات كالبزاة

والصقور، فينقضون على من أحسن في الدنيا إليهم انقضاض البزاة والصقور على اللحوم تتلقفها وتحفظها، فكذلك يلتقطون من شدائد العرصات من كان أحسن إليهم في الدنيا، فيرفعونهم إلى جنات النعيم..» الحديث[1].

استنتاج

وعليه: فإنه إذا كان عدد الحاج قد بلغ هذا المقدار الضخم، مع أنه عدد يندر بلوغه في تلك الأزمنة، وخاصة مع ملاحظة أوضاع ذلك الزمان من البساطة في الامكانيات، والسذاجة في العيش، وصعوبة التنقل وغير ذلك، فإنه يعدّ هذا العدد هائلاً جداً؛ ولكن الذي يؤكدّ وصول هذا العدد الكبير إلى ما وصل إليه هو: عدم وجود الموانع التي تفرضها الحكومات المسيّرة هذا اليوم في تلك الأيام والأزمنة. أما اليوم وبسبب وجود الموانع الحدودية المصطنعة، والاجراءات الوضعية المعقدة، والقوانين المفتعلة المقيدة والمفروضة على الأمة، فقد تقلّص عدد الحاج وتناقص إلى الأدنى أضعافاً مضاعفة، ويظهر هذا التناقص كبيراً مع ملاحظة تصاعد عدد المسلمين

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٦٠٦ في أن الحاج هم الموالون لمحمد وعلي عليهما السلام.

اليوم[1]، وسهولة تحصيل وسائط السفر والنقل في هذا الزمان، ووفرة الامكانيات المادية والمعمارية الحديثة، فالذي حدث في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام هو سمة من سمات الحرية الإسلامية، وعلامة من علامات وحدة الأمّة، فكل شخص يرى أنه يمتلك الاستطاعة للحج يقصد بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، ويؤدي مناسك الحج بحرية كاملة، ولا يجد أمامه أي عائق، أو قوة تمنعه من ذلك.

فلماذا نرى اليوم ومع كثرة الإمكانات، وزيادة النفوس، وسهولة السفر والنقل، لا يسمح إلا لعدد قد يتجاوز المليون حاج ـ بقليل ـ لزيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج، ما الذي تغيّر؟!

ولماذا تضاءل العدد في حين ازدادت نفوس المسلمين، وأصبحت وسائل الحياة من مواصلات وغيرها تحت قدرة الإنسان وسيطرته الكاملة؟!

فما هذا الذي أعلنه بعض حكام البلاد الإسلامية المسيّرين: من تحجيم عدد الحجاج وتقليصه إلى ما لا يتجاوز المليون حاج، إلا استجابة إلى ما دعى إليه

---

(١) ذكر أن الإحصاءات الأخيرة لنفوس المسلمين بلغت ملياري مسلم، انظر كتاب عندما يحكم الإسلام لعبد الله النفيسي.

(غلادستون)[1] من المنع عن تجمع المسلمين في موسم الحج، أو تعاطفاً مع بدعة وضع الحدود بين شعوب الأمة الإسلامية الواحدة، وتجاوباً مع البدع الأخرى من جوازات السفر وتأشيرات الدخول وغير ذلك من القيود والموانع، التي تصد عن الحج، وتمنع الحاج من زيارة بيت الله الحرام.

أليست هذه البدع والالتزام بها تصب في صالح المستعمرين وأعداء المسلمين، والتي بها استطاعوا أن يبعدوا المسلمين بعضهم عن بعض، وينشروا بينهم العداوات والمباغضات، والأحقاد والضغائن ليصلوا إلى أهدافهم بكل سهولة طبقاً لقاعدتهم المعروفة: فرّق تسد؟[2]

---

(١) غلادستون، أحد رؤساء وزراء بريطانيا السابقين، له كلمة مشهورة، وهي: ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان.

(٢) للتفصيل ينظر مؤلفات الإمام الراحل (أعلى الله مقامه) في موضوع الحج، مثل: «ليحج خمسون مليوناً كل عام»، و«الحج بين الأمس واليوم والغد» و «لكي يستوعب الحج عشرة ملايين» وغيرها.

تخطيط شيطاني لتحطيم طموح المسلمين

وإن من أبرز المخططين لتحطيم طموح المسلمين الذين استطاعوا عبر تخطيطهم الشيطاني من توجيه ضربة مهلكة تقضي على طموح الأمة الإسلامية وتبدد آمالها وتؤدي إلى أنهزامها نفسياً، وتمزيقها وتشتيتها جسدياً، وذلك قبل ما يقارب من (٨٠ سنة) هو الجاسوس البريطاني المعروف باسم: (لورانس العرب) [١]، الذي استطاع بتخطيطه الشيطاني الخبيث

---

(١) توماس ادوارد لورانس ولد عام (١٨٨٨م) في مدينة ثرمادوك، اشتهر باسم «لورانس العرب» بعد نشره لمذكراته عن حرب الصحراء، تخرج من جامعة اكسفورد عام (١٩١٠م)، درس العربية في أكسفورد على يد مستشرق مشهور هو «جورج هوغارث» الذي يعتبر من أشهر جواسيس الإنجليز. انتقل إلى لبنان من أجل التدرب كجاسوس، منتحلاً شخصية عالم آثار، درس العربية في مدرسة لبنانية مسيحية، فأتقن اللغة العربية، واللهجة اللبنانية، وفي بداية الحرب العالمية الأولى انتقل إلى القاهرة، والتحق بجهاز مخابرات الجيش البريطاني، وانضم سنة (١٩١٦م) إلى القوات العربية المحاربة ضد الدولة العثمانية، بقيادة فيصل الأول بن الشريف حسين. لعب دوراً هاماً في تأجيج الثورة العربية على الأتراك، حيث قام بقطع الخط الحديدي الواصل بين المدينة المنورة ومدينة دمشق المعروف بخط الحجاز، وقاد الجيش العربي إلى احتلال ميناء العقبة ثم دخل مدينة دمشق سنة (١٩١٨م). رافق فيصل الأول إلى مؤتمر فرساي، ولعب دوراً كبيراً في خداع العرب وتنفيذ سياسة الإنجليز في المنطقة العربية، وبعد أن فشل المؤتمر ونكثت بريطانيا وعودها للعرب رجع إلى بريطانيا ←

أن يمرر سائر المخططات الغربية الهادفة لهدم طموح المسلمين وتبديد آمالهم، فإنّ دسائسه ومكائده أدت إلى القضاء على طموح الأمة الإسلامية، ثم سرت إلى تمزّيق وحدة المسلمين، وإلى تشتت أراضيهم، وتفريق بلادهم، وأخيراً إلى الضعف الشديد والنقاهة المزمنة، ثم الاحتضار والموت، كما هو واضح اليوم.

إنّ الإطلاع على مؤامرات الأعداء، ومخططاتم الشيطانية الخبيثة، ومطالعة حياة أمثال هؤلاء المندسّين في المسلمين، والوقوف على نواياهم الإستعمارية السوداء، للحذر منهم، والنجاة من مخططاتهم ضروري جداً؛ فإنهم استطاعوا عبر شيطنتهم ومكرهم أن يفسدوا في الأرض، وأن يعملوا على خلاف عمل الأنبياء عليهم السلام وتعاليمهم الخيرة، وأن يصلوا إلى أهدافهم الشريرة.

فكيف وصل هؤلاء المكرة إلى أهدافهم الشريرة؟

وما هي الظروف والعوامل التي ساعدتهم على ذلك؟

وهل إذا كان المسلمون كالجسد الواحد وكما أمرهم

→

وانضم إلى سلاح الجو البريطاني. نشر مذكراته عن حرب الصحراء (ثورة الصحراء) عام ١٩٢٧م، و(أعمدة الحكمة السبعة) وقد ضمنه تركيبته النفسية غير السوية. للتفصيل انظر موسوعة السياسة: ج٥ ص٥٠٣ حرف اللام.

الله به: من كونهم أمة واحدة، وبلدة واحدة، وإخوة في الله، كان يصل مثل هؤلاء الطامعين إلى مبتغاهم؟

وهل كانت تلك القوى الاستعمارية ومنفذوا مخططاتها الشيطانية، قادرين على التحكّم بمصير المسلمين، والتلاعب بمقدراتهم وزجّهم في خلافات ومشاكل فيما بينهم؟!

نعم، إن الأسباب الرئيسية لكل ذلك يعود إلى فقد المسلمين طموحهم وقعودهم عن تحقيق الأهداف التي نادى بها القرآن الحكيم، وجاء بها النبي الكريم وأهل بيته الطهار عليهم السلام، والذي في تطبيقها عزّة المسلمين وسعاداتهم، وسؤددهم وسيادتهم.

طموح المسلمين قبل ثلاثة عقود

قبل ثمانٍ وعشرين سنة[1] تشرّفت مع سماحة الوالد المرحوم[2] إلى حج بيت الله الحرام، فكان الوالد قدس سره

---

(١) من تاريخ القاء المحاضرة.

(٢) هو المرجع الديني آية الله العظمى الميرزا مهدي بن الميرزا حبيب الله بن السيد آقا بزرك بن السيد ميرزا محمود بن السيد إسماعيل الحسيني الشيرازي، فوالد السيد الميرزا مهدي هو ابن أخ المجدد الشيرازي صاحب ثورة التنباك الشهيرة، ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة (١٣٠٤ هـ) وظل بها إلى سنين شبابه الأولى، تنقل في طلب العلم بين كربلاء وسامراء والكاظمية والنجف، تتلمذ عند الشيخ الخراساني والسيد اليزدي والشيخ محمد رضا الهمداني والسيد علي نجل المجدد الشيرازي، والميرزا النائيني والشيخ محمد تقي الشيرازي، إلى أن نتقل إلى النجف الأشرف وأقام بها ما يقرب من عشرين عاماً. كان يحضر في كربلاء المقدسة بحثاً علمياً في غاية الأهمية، تحت رعاية المرحوم السيد الحاج آغا حسين القمي رحمه الله وكان البحث يضم جمعاً من أكابر ومشاهير المجتهدين في كربلاء المقدسة. وبعد وفاة السيد القمي سنة (١٣٦٦هـ) استقل بالبحث والتدريس، واضطلع بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية.

له مواقف سياسية شهيرة منها وقوفه بوجه المد الشيوعي وأصدار فتوى بتكفيرهم، كما وقف بوجه المد الشيوعي في حكومة عبد الكريم قاسم في العراق، فبادر قدس سره إلى استنهاض همم رجال الدين الكبار لاتخاذ موقف جماعي قوي إزاء الخطر الإلحادي على العراق، فالتقى بالمرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محسن الحكيم رحمه الله وأصدر الأخير فتواه الشهيرة بتكفير الشيوعية.

←

يصلي الجماعة في مكة المكرمة في جانب من المسجد الحرام، وفي منى وعرفات، وكان الكثيرون من مختلف البلدان يشتركون في صلاة الجماعة بإمامته قدس سره، وبعد الصلاة كنت أدخل مع بعض المصلين في مناقشات جادّة حول إعادة الطموح وبناء الثقة في نفوس المسلمين، وفي حوارات متعددة حول مختلف الأمور التي تهم المسلمين؛ من قبيل تفرقهم وتشتّت بلدانهم، وضرورة اتحاد بلدانهم، ومواجهة الإعلام المضاد لهم، ومن قبيل ضرورة إعادة الطموح وبناء الثقة بأنفسهم، وإحياء الشعائر الإسلامية بمختلف أنواعها وبجميع أشكالها، وغير ذلك.

نعم، إن مما يجدر البحث فيه اليوم في موسم الحج،

→

ترك مؤلفات عديدة منها: ذخيرة العباد، ذخيرة الصلحاء، الوجيزة، تعليقة على العروة الوثقى، كشكول في مختلف العلوم. توفي رحمه الله في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة (١٣٨٠هـ) وشيع جثمانه في موكب مهيب قلما شهدت كربلاء المقدسة مثله، وانكسفت الشمس يوم وفاته وتشييعه حتى أرّخ الشعراء له ذلك، دفن في مقبرة العالم المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي في صحن الروضة الحسينية الشريفة، وأقيمت على روحه الطاهرة مجالس الفاتحة والتأبين بمشاركة مختلف فئات وطبقات المجتمع استمرت لعدة أشهر. للمزيد ينظر كتاب (أسرة المجدد الشيرازي) لنور الدين الشاهرودي، وكتاب (أضواء على حياة الإمام الشيرازي)، وكتاب (تراث كربلاء) للسيد سلمان آل طعمة.

في مكة المكرمة والمدينة المنورة ـ من خلال عقد المؤتمرات العالمية يشترك فيها أصحاب الحل والعقد من جميع الأقطار الذين جاءوا إلى الحج ـ هو البحث عن ضرورة إلغاء القوانين التي تفصل وتفرق بين بلاد المسلمين بدواعي واهية، وتعريفهم أن الهدف من تلك القوانين الهدامة والتي تتلخص في حجب المسلمين بعضهم عن بعض، ومنعهم من تداول مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فيما بينهم، علماً بأن هذه القوانين لم تكن موجودة سابقاً، وإنما ابتدعت جديداً ولاحقاً، وكان المسلمون يختلطون بكل حرية، ويطلع بعضهم على شؤون إخوانهم من البلاد الأخرى، ولم يكن هناك حواجز وموانع بينهم، مثل أن يكون مكان خاص لفئة خاصة، أو فندق معين لجهة معينة من المسلمين التابعين لهذا البلد دون سواهم.

ومما يلزم البحث فيه أيام الحج هو: كيفية إلغاء الحدود المصطنعة بين البلاد الإسلامية، تطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[1] وعن طريق إرجاع الأخوة الإسلامية إلى المسلمين، تحقيقاً

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٢.

لقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[1]. والبحث عن كيفية إعادة الحريات الإسلامية إلى المجتمع الإسلامي، تطبيقاً لقول الله عزوجل: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[2] وعن طريقة إعادة الطموح والأمل في المجتمع الإسلامي الإنساني، وغيرها من التعاليم الحيوية في الإسلام، والتي سلبت من المسلمين بسبب مخططات الاستعمار الخبيثة، فعرقلت حركة المسلمين وسببت تخلفهم.

الطموح من أهداف الحج

ولا يخفى أن هناك الكثير من الروايات الشريفة، مضافاً إلى الكثير من الآيات الكريمة، تؤكد أن أحد أهداف الحج هو الطموح إلى الآخرة، مضافاً إلى إصلاح الدنيا، وذلك بذكر الله أولاً، ثم التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثانياً، فإن من الطبيعي أنه حينما يشاهد الناس آثار الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ويرون مشاهده الشريفة، فإنهم يتذكرون جهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبلاغه، ويعيشون أيام الله وأنعامه، ويشاهدون بزوغ أنوار الرسالة الخاتمة وضياءها، ويتذكرون أتعاب الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وتضحياته؛ من أجل تثبيت أسسها وأركانها.

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

أما التبادل الثقافي والفكري، والتعرف على مشاكل المسلمين ومتاعبهم، وإيجاد الحلول المناسبة لها والخروج منها، فهي من ضروريات الاهتمام بأمور المسلمين وأوليات أهداف الحج.

الحديث الشريف وزماننا العصيب

وعليه: فزماننا اليوم هو ذلك الزمان العصيب الذي يفقد أهله فيه الطموح والأمل، كما أخبر عنه أئمة أهل البيت عليهم السلام ووصفوه، فهذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فيا عجباً وما لي لا أعجب، من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأن كل امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ فيما يرى بعرىً ثقات، ولا أسباب محكمات»[1].

أي: إنهم على أثر فقدهم الطموح والأمل بالإصلاح، أصبحوا لا يسمحون للعالِم بالتكلم بالهداية ونشر علمه بهدف الإصلاح، وفي المقابل يأتي الجاهل ويرى نفسه صاحب الحق في التكلم وإبداء الرأي، ويرى أن له الحق بالتغيير في الساحة الإسلامية كيفما يشاء، وهذا ما نراه اليوم في أكثر

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٨٨ من خطبة له عليه السلام وفيها بيان للأسباب التي تهلك الناس.

البلدان الإسلامية.

وبهذا المعنى وردت الأحاديث الشريفة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعن الأئمة المعصومين عليهم السلام تصف حال ما نحن فيه من الزمان، وقد نسب البعض هذا الزمان إلى زمان العباسيين والأمويين، بينما نرى أنه أكثر انطباقاً على زماننا هذا من ذلك الزمان؛ فمثلاً، نجد أغلب المسلمين في البلدان الإسلامية مبتلين بهذا الأمر، إذ أن الفقيه والعالم وصاحب الرأي والفتوى، قد كمموا فاه، وتركوه لا يتمكن من إبداء رأيه، وإظهار الأمور الفقهية والأحكام الإلهية، بينما نرى الجهّال مكرمين ومحترمين يقولون ما يريدون، ويفعلون ما يشاؤون.

أهداف الحج في الحديث الشريف

نعم، إن من أهداف الحج هو إيجاد الطموح وبناء الأمل والثقة في نفوس المؤمنين، والعمل وفقها لإصلاح الدنيا وعمران الآخرة، وما يستتبعها من سيادة وسعادة، ففي الحديث الشريف عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: ما العلة التي من أجلها كلف الله العباد الحج، والطواف بالبيت؟

فقال عليه السلام: «إن الله تعالى خلق الخلق لا لعلة إلا أنه شاء ففعل[1]، فخلقهم إلى وقت مؤجل وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا، وليتربح كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى، ولو كان كل قوم إنما يتّكلون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد، وسقط الجلب والأرباح، وعميت الأخبار، ولم يقفوا على ذلك، فذلك علّة

---

(١) أي: لا لنفع يرجع إليه تعالى؛ فإنه هو الغني في ذاته على الإطلاق، وإنما خلق الخلق ليرحمهم، كما قال سبحانه: ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ سورة هود: ١١٩.

الحج»[1].

ولعل من أهم ما ورد في الحديث الشريف هو قوله عليه السلام: «وعميت الأخبار» فإنّ الحج نافذة واسعة، تعطي فرصة عظيمة للمسلمين في تبادل الأخبار؛ لأن السلطات الجائرة قد اعتادت على منع الأخبار المهمة التي تخصّ المسلمين عن شعبها المسلم، فتحاول التكتم عليها، فالحج يفتح هذه الفرصة أمام المسلمين؛ ولذلك يقول الإمام (سلام الله عليه) لولا الحج لـ «عميت الأخبار»، أي: لأصبح هناك مانع من انتشار الأخبار بين المسلمين.

فهذه هي بعض الأمور المستفادة من الحج إضافة إلى الأبعاد المعنوية والروحية من مثل العبادة والغفران.

عن الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا عليه السلام ـ في حديث طويل ـ قال:

«إنما أمروا بالحج لعلة الوفادة إلى الله عز وجل، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف العبد، تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال، وتعب الأبدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر الأنفس عن اللذات، شاخصاً في الحر والبرد،

---

(١) علل الشرائع: ج٢ ص٤٠٥ ب١٤٢ ح٦.

ثابتاً على ذلك دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر، ممن يحج وممن لم يحج، من بين تاجر وجالب، وبائع ومشتر، وكاسب ومسكين، ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه، مع ما فيه من التفقه، ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [1] و﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾ [2]» [3].

كل شيء من أجل الطموح والأمل

أجل، حيث إن الطموح والأمل هو مقدمة الصلاح والإصلاح في المجتمع الإسلامي، لذلك أمر الإسلام بكل ما يقوي في النفوس الطموح ويزيد في القلوب الأمل، ومن ذلك إجابة دعوة المؤمن، فإنه ينبغي لكل مؤمن أن يجيب دعوة أخيه إلى الضيافة، من غير أن يفرّق بين الغني والفقير، ولا بين بعد المسافة وقربها ـ

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الحج: ٢٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج١١ ص١٢ ب١ ح١٤١٢١.

فيما إذا أمكن احتمالها عادة ـ وذلك تقوية لأواصر المحبة بين المؤمنين، وزيادة في طموحهم وأملهم بالصلاح والإصلاح .

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصي الشاهد من أمتي والغائب، أن يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال، فإن ذلك من الدين»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من دخل على أخيه وهو صائم، فأفطر عنده ولم يعلمه بصومه فيمنّ عليه، كتب الله له صوم سنة»[2].

نعم، هذه هي بعض آداب الضيافة في الإسلام، تقوية لطموح المسلمين وبعثاً لروح الأمل فيهم.

وعليه: فليس من الصحيح أن يقول أحد ـ وكأنه يؤكد على أنانيته بعدم إجابة دعوة الله من المؤمنين ـ : الحمد لله الذي لم أذهب إلى الآن في ضيافة أحد!. فإن هذا العمل مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولسيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام؟ كيف لا والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لو دعيت إلى ذراع شاة لأجبت»[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « إن من أعجز العجز رجلاً دعاه أخوه

---

(١) الكافي: ج٦ ص٢٧٤ باب إجابة دعوة المسلم ح٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٨٤ باب صوم السنة ح١٧٩٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٢٧١ ب١٦ ح٣٠٥٢١.

إلى طعامه فتركه من غير علة» [1].

إذن: فلو تسامحنا في مثل هذه الآداب الرفيعة لكانت النتيجة ذهاب الأخلاق الإسلامية الكريمة بسبب هذه الأفكار التي يمتلكها البعض ويفتخر بأنه لا يحترم الناس ولا يستجيب لدعواتهم.

معلم الطموح الكبير والأمل الصادق

لقد جاء في التاريخ أن النبي الكريم ﷺ لما قام في معركة الأحزاب بحفر الخندق، في أثناء حفر الخندق اصطدم المسلمون بصخرة كبيرة ولم يتمكنوا من تفتيتها رغم كل ما بذلوه من جهد.

فإن النبي ﷺ لما خط الخندق عام الأحزاب، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي[2]، وكان رجلاً قوياً،

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٢٧١ ب١٦ ح٣٠٥٢٢.

(٢) هو سلمان المحمدي ابن الإسلام، أبو عبد الله، أول الأركان الأربعة، مولى رسول الله ﷺ وحواريه الذي قال فيه: «سلمان منا أهل البيت». وأصله من إصبهان من قرية يقال لها (جي). قيل: إن أسمه مابه بن بوذخشان بن مور سلان بن بهنوذان بن فيروز بن سهرك من ولد أب الملك. وقيل: كان أسمه بهبود، وقيل: روزبه بن خشنوذان، وقيل: خشبوذان.

هاجر في طلب العلم والدين - وهو صبي - وآمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث، وعرفه بالصفة والنعت لما هاجر إلى المدينة، سماه رسول الله ﷺ سلمان بن عبد الله، مولى ←

فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا. فقال النبي ﷺ: «سلمان منا أهل البيت». قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة ونعمان بن

→

رسول الله ﷺ. ألقابه: سلمان الخير، وسلمان ابن الإسلام، وسلمان المحمدي وهو أشهرها. شهد مع رسول الله ﷺ الخندق، وهي أول غزوة غزاها مع النبي ﷺ وقيل: شهد بدراً وأُحُداً. وهو الذي أشار على النبي ﷺ بحفر الخندق في معركة الأحزاب، والذي أدى إلى انتصار المسلمين على قريش وأحزابها. وقد ورد المدح والثناء عليه بما لا ينكر، فقد قال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت». وقال ﷺ: «لو كان الدين في الثريا لناله سلمان». وقال ﷺ أيضاً: «أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي وأبو ذر والمقداد وسلمان». وروي عن عائشة قالت: (كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ). ولما قبض رسول الله ﷺ لزم أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يبايع أبا بكر حتى أكره على البيعة، ووجئت عنقه. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن سلمان (رضي الله عنه) أدرك العلم الأول والآخر». وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «إن سلمان الفارسي بحر لا ينزف». وعن الفضل بن شاذان أنه كان يقول: ما نشأ في الإسلام رجل من كافة الناس أفقه من سلمان الفارسي. ذكره ابن شهر آشوب في «معالم العلماء»: إنه أول من صنف في الإسلام بعد ما جمع أمير المؤمنين عليه السلام كتاب الله عز وجل. تولى حكومة (المدائن) في زمان عمر بأمر علي عليه السلام وتوفي بها سنة (٣٤) من الهجرة على الأصح، وقيل: سنة ٣٣ أو ٣٥ أو ٣٦ أو ٣٧ للهجرة، وعمره إذ ذاك ثلاثمائة وخمسون سنة. وقيل: مائتان وخمسون سنة. وذكر سلمان في المعمرين حيث قيل: إنه أدرك أوصياء عيسى عليه السلام وقرأ الكتابين. انظر الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم: ج٣ ص١٦ باب السين. وأعيان الشيعة: ج٧ ص٢٧٩ ترجمة سلمان الفارسي.

مقرن المزني، وستة من الأنصار، في أربعين ذراعا، فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب، أخرج الله من باطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا، وشقت علينا. فقلنا: يا سلمان، إرق إلى رسول الله ﷺ، وأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيه بأمره؛ فإنا لا نحب أن نجاوز خطه.

قال: فرقي سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله، خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق، فكسرت حديدنا، وشقت علينا حتى ما يحتك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لا نحب أن نجاوز خطك؟ قال: فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان، فضربها به ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم! فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية، فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها، فبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون. وأخذ بيد سلمان، ورقي.

فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط؟!

فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: «رأيتم ما يقول سلمان؟».

فقالوا: نعم، يا رسول الله.

قال: «ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة، ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها. ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها. ثم ضربت ضربتي الثالثة، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرئيل أن أمتي طاهرة عليها، فأبشروا». فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون: ألا تعجبون، يمنيكم ويعدكم الباطل؛ ويعلمكم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون أن تبرزوا؟!

فنزل القرآن:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما

وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورا﴾[1]. [2]

لذا استبشر المسلمون المؤمنون برسول الله ﷺ، وتقوى الطموح في نفوسهم بالفتح، وإزداد الأمل بالنصر في قوبهم، بسبب فعل الرسول ﷺ هذا وكلامه المليء بالطموح والمشحون بالأمل، وعلى أثره استطاعوا أن ينتصروا على المشركين في كل الحروب، وأن يسجلوا الفتح المبين لصالح الإسلام والمسلمين، كل ذلك كان بفضل الطموح الكبير، والأمل الصادق الذي كان يتحلى به الرسول الكريم ﷺ ويبعث به في نفوس المسلمين.

ولكن الأمر اليوم أصبح على عكس ما كان حال المسلمين الأوائل، فلا نجد في المسلمين الطموح إلى الإصلاح، ولا الأمل بالكرامة والسعادة، وعلى أثره تركوا العمل في سبيل تحقيق العزة للإسلام والكرامة للمسلمين، ومن ثم استعادة سيادتهم ومجدهم؛ لهذا السبب وصلت أحوالنا إلى ما وصلت إليه، وتبدلت أوضاعنا إلى هذه الحالة المتأخرة والمفجعة.

الطموح والتضخيم الإعلامي

هناك بعض الجهات التي تستخدم التضخيم

---

(١) سورة الأحزاب: ١٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٢ ص٢٦٩ سورة آل عمران.

الإعلامي مع قلة عددهم وبطلان مبدئهم كالشيوعيين في العراق، فإنهم على رغم قلتهم كانوا يدعون الكثير، وكانوا ينشطون في تبليغهم وإعلامهم، وخاصة في مجال توزيع البيانات ونشر الكتب التي تحمل أفكارهم الإلحادية وعقائدهم الهدامة وذلك في كافة أنحاء العراق.

أما الشيعة في العراق وهم يشكلون (٨٥%) من نسبة سكان العراق، فلم يكن لهم نشاط سياسي يذكر، مع ما بث فيهم الرسول الكريم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام من طموح كبير وأمل صادق بالصلاح والإصلاح، لهذا نجد انتشار المبادئ الباطلة في بعض المناطق ملوحظاً، بينما المؤمنون على عكس ذلك.

فهذا الأمر يفرض علينا التساؤل عن السبب، وأنه لماذا أصبح المسلمون على هذه الحالة المزرية؟!

قد يجيب البعض قائلاً: إن سبب انتشار الأفكار الإلحادية في بعض مناطق العراق هو دعم الجهات الملحدة وبذلهم المبالغ الطائلة والتي كانت تأتي من الخارج.

ولكننا نقول: إن وراء المؤمنين الرساليين ملياراً وخمسمائة مليون مسلم، وهم أصحاب منابع طبيعية عظيمة، مادية ومعنوية، فالمسألة ليست مسألة مدد من الخارج، بل إنها قضية طموح وأمل، وسعي وعمل،

لقد انتهز الشيوعيون فرصة تخلّف المؤمنين وقعودهم، وفترة غفلتهم وخمولهم، فهبّوا مستغلين طاقاتهم والامكانات التي وضعها الله سبحانه وتعالى بين يدي جميع خلقه، فانتفضوا بها، وسعوا لها، بينما لم يستثمرها المؤمنون في صالح نشر المبادئ الحقة، ولم يبذلوا جهداً في سبيل إعادة مجد الإسلام الذي فيه مجدهم ومجد الجميع.

الطموح ومقومات النهضة الإصلاحية

ثم إنه ينبغي للمؤمنين الطموحين من أجل القيام والنهوض للصلاح والإصلاح، أن يوفروا في أنفسهم مجموعة أمور مهمة، هي كما يلي:

١. الوعي

الأول من مقومات الإصلاح: إيجاد الوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي، واليقظة الفردية والجماعية، بين الأمة بكاملها، وذلك بقدر الكفاية، فإن الإنسان الواعي اليقظ لا يقبل الخضوع ولا تنطلي عليه المكائد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا خير في العيش إلاّ لرجلين: عالم مُطاع، أو مستمع واعٍ»[١].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ألا إن أسمع الأسماع من وعى التذكير وقَبِلَه»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً: «من تبصر في الفطنة ثبتت له الحكمة وعرف العبرة».[٣]

وقال الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام: «قال

---

(١) الكافي: ج١ ص٣٣ باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء ح٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ق٣ ب١ ف٧ ح٤٥٧٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٨ ق٦ ب٤ ف٩ ح١٠٢٩٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أربع يلزمن كل ذي حجى وعقل من أمتي، قيل: يا رسول الله، ما هن؟ قال: استماع العلم، وحفظه، ونشره عند أهله، والعمل به»[1].

٢. التنظيم

الثاني من مقومات الإصلاح: التنظيم الدقيق، فهو من أهم وسائل القوة، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «سوّوا صفوفكم، وحاذوا بين مناكبكم، ولا تخالفوا بينها فتختلفوا، ويتخللكم الشيطان تخلل أولاد الحذف»[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكما.. بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله وسلم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام..»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج١ ص١٦٨ ب١ ح١٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٦ ص٥٠٦ ب٥٤ ح٧٣٧٥. والحذف ضربٌ من الغنم الصغار السود، واحدها حذفة، فشبه رسول الله صلى الله عليه وآله تخلل الشيطان الصفوف إذا وجد فيها خللاً بتخلل أولاد تلك الغنم ما بين كبارها.

(٣) نهج البلاغة، الكتب: ٤٧ من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.

وقال عليه السلام: «الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف»[1].

وقال عليه السلام: «..وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك..»[2].

وقال عليه السلام لولده الإمام الحسين عليه السلام: «ومن تورط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرض للنوائب، التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم»[3].

٣. الاكتفاء الذاتي

الثالث من مقومات الإصلاح: العمل من أجل الاكتفاء الذاتي في كل المجالات، اقتصاداً، وسياسةً، وزراعةً، وصناعةً، وغير ذلك. فقد روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما طعمت طعاماً منذ يومين؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «عليك بالسوق». فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله، أتيت السوق أمس، فلم أصب شيئاً، فبت بغير عشاء؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : «فعليك بالسوق». فأتى بعد ذلك أيضاً

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٦٦ ق٦ ب٥ ف١٣ ح١٠٧١٤.

(٢) نهج البلاغة، الكتب: ٥٣ من كتاب له عليه السلام للأشتر.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٠٦ ب٣٣ ح١٣١١٠.

فقال ﷺ : «عليك بالسوق» فانطلق إليها، فإذا عير قد جاءت وعليها متاع، فباعوه بفضل دينار، فأخذه الرجل وجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: ما أصبت شيئاً؟ قال: «هل أصبت من عير آل فلان شيئا؟». قال: لا. قال: «بلى، ضرب لك فيها بسهم وخرجت منها بدينار». قال: نعم.

قال ﷺ: «فما حملك على أن تكذب؟». قال: أشهد أنك صادق، ودعاني إلى ذلك إرادة أن أعلم، أتعلم ما يعمل الناس، وأن أزداد خيراً إلى خير.

فقال له النبي ﷺ: «صدقت، من استغنى أغناه الله، ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر، لا يسد أدناها شيء». فما رئي سائل بعد ذلك اليوم، ثم قال ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لغني، ولا لذي مرة سوي»[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك»[2].

---

(١) الخرائج والجرائح: ج١ ص٨٩ ب١ فصل من روايات الخاصة.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٤٩ باب الاستغناء عن الناس ح٧.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس، وتوسيعاً على أهله، وتعطفاً على جاره، لقي الله عز وجل يوم القيامة، ووجهه مثل القمر ليلة البدر»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اشتدت حال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت له امرأته: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألته، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله!! فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشرٌ فأعلمه فأتاه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله!! حتى فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً، ثم أتى الجبل فصعده، فقطع حطباً، ثم جاء به فباعه بنصف مد من دقيق، فرجع به فأكله، ثم ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتى اشترى معولاً، ثم جمع حتى اشترى بكرين وغلاماً، ثم أثرى حتى أيسر، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعلمه كيف جاء يسأله، وكيف سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت لك: من

---

(١) الكافي: ج٥ ص٧٨ باب الحث على الطلب والتعرض للرزق ح٥.

سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله»[1].

٤. الطموح والأمل الصادق

الرابع من مقومات الإصلاح: الطموح الكبير، والأمل الصادق بالصلاح والإصلاح، فإن الطموح والأمل يحلان المحل الأول من مقومات الإصلاح؛ ولذلك ينبغي لنا قبل هذه الأمور الثلاثة، أن نطمح إلى تغيير هذا الواقع المأساوي الذي نعيشه، فلولا الطموح والأمل في التغيير لن يمكننا أن نفعل شيئاً، كما ينبغي لنا أن نستعيد طموحنا وأملنا، ونواصل نشاطناً وعملنا مرة أخرى، ونتوكل على الله عز وجل، ونجعل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام قدوة وأسوة لنا، حتى نستطيع إنقاذ المسلمين، بل جميع الناس في كل العالم. فقد كان الطموح والأمل، المستتبع للسعي والعمل، هو أحد أهم الاسباب الرئيسية التي سببت علو شأن المسلمين الأوائل.

«اللهم، اجمع بيننا وبين محمد صلواتك عليه وآله في برد العيش، وبرد الروح، وقرار النعمة، وشهوة الأنفس، ومنى الشهوات، ونعيم اللذات، ورجاء الفضيلة، وشهود الطمأنينة، وسؤدد الكرامة، وقرة العين، ونضرة النعيم، وبهجة لاتشبه بهجات الدنيا..»

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٣٩ باب القناعة ح٧.

(١)
.

(١) إقبال الأعمال: ص١٧١ ب٢٣.

من هدي القرآن الحكيم

❖ جاء في القرآن الحكيم في مجال الطموح والأمل ما يبعث عليهما تمهيداً للارتقاء والازدهار:

قال الله تعالى: ﴿**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾(٢).

وقال عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٣).

❖ وفي مجال التوازن في الأشياء، والاتزان في الكون والحياة، ما يفيد التعلم والتوازن في الأمور:

قال الله جل وعلا: ﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ**﴾(٤).

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاّ بِالْحَقِّ**

---

(١) سورة الاسراء: ٢١.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٤) سورة الحجر: ١٩.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال سبحانه تبارك اسمه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[5].

❖ وفي مجال الحج وتدريبه على الطموح والأمل:

قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً

---

(١) سورة الدخان: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) سورة الزمر: ٥.

(٣) سورة الحجر: ٢١ـ ٢٢.

(٤) سورة الملك: ٣.

(٥) سورة القمر: ٤٩.

لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

وقال سبحانه: **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾**(٢).

وقال عز وجل: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**(٣).

❖ وفي مجال مقومات الإصلاح من نشر العلم ومحاربة الجهل ما فيه دروس وعظات:

قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**(٤).

وقال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾**(٥).

---

(١) سورة المائدة: ٩٧.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) سورة الحج: ٢٧.

(٤) سورة الجمعة: ٢.

(٥) سورة الأنفال: ٢٤.

وقال عز وجل: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [2].

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

من هدي السنّة المطهرة

❖ جاء في الروايات الشريفة ما يبعث على الطموح والأمل، وأنهما مقدمتا الارتقاء والازدهار:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحب نيل درجات العلى فليغلب الهوى»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «العاقل يطلب الكمال، الجاهل يطلب المال»[2].

وقال عليه السلام: «أيها الناس، اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال؛ إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم، وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أمرتم بطلبه من أهله، فاطلبوه»[3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الكمال كل الكمال: التفقه

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١١٥ ب٨١ ضمن ح١٣٦٦٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٤ ق١ ب١ ف٤ ح٤٥٩.

(٣) الكافي: ج١ ص٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه ح٤.

في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة»[1].

❖ وفي مجال تنافي الكسل والضجر مع الطموح والأمل ما فيه عبرة لمن اعتبر:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «.. وإياك وخصلتين: الضجر، والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن يرغب فيما يبقى، ويزهد فيما يفنى، يمزج الحلم بالعلم، والعلم بالعمل، بعيدٌ كسله، دائم نشاطه، قريب أمله، حيَّ قلبه»[3].

وقال الإمام السجاد عليه السلام في دعاء «مكارم الأخلاق»: «ولا تبتليني بالكسل عن عبادتك، ولا العمى عن سبيلك، ولا بالتعرض لخلاف محبتك»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي: قصر الهمّة، وقلة الحيلة، وضعف

---

(١) الكافي: ج١ ص٣٢ باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء ح٤.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٤٣٤ ب١٢ ف٣ في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢٦ تتمة باب ١٥ ح٩٢.

(٤) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

الرأي»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «ولا تبتلنا في أمره بالسأمة والكسل والفترة والفشل، واجعلنا ممن تنتصر به لدينك وتعز به نصر وليك، ولا تستبدل بنا غيرنا..»[2].

❖ وفي مجال الحج ما يدرب على الطموح والأمل:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «.. وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته»[3].

وقال الإمام السجاد عليه السلام: «حجّوا واعتمروا، تصح أجسامكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مئونة الناس ومئونة عيالاتكم»[4].

---

(١) تحف العقول: ص٣١٨ ما روي عنه عليه السلام في طوال هذه المعاني سماه بعض الشيعة: نثر الدرر.

(٢) جمال الأسبوع: ص٥١٧ ف٤٧ ذكر الدعاء لصاحب الأمر عليه السلام المروي عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٣) نهج البلاغة، الخطب: ١ من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وفيها ذكر الحج.

(٤) وسائل الشيعة: ج١١ ص١٥ ب١ ح١٤١٢٦.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «.. والحج تسكين القلوب»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من بقعة أحب إلى الله تعالى من المسعى؛ لأنه يذل فيها كل جبار»

وسُئل عليه السلام: لم جعل السعي. فقال عليه السلام: «مذلة للجبارين»[2].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إن علّة الحج الوفادة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف، وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللّذات، والتقرب في العبادة إلى الله عز وجل والخضوع.. »[3].

❖ وفي مجال التوازن في الكون والحياة، وفي الأشياء كلها ما يعلم التوازن في الأمور:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «..فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سُدى، ولم يدعكم في جهالة

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص٢٩٦ المجلس١١ ح٥٨٢.

(٢) الكافي: ج٤ ص٤٣٤ باب السعي بين الصفا والمروة وما يقال فيه ح٣.

(٣) علل الشرائع: ج٢ ص٤٠٤ ب١٤٢ ح٥.

ولا عمى، قد سمّى آثاركم[1]، وعلم أعمالكم وكتب آجالكم..»[2].

وقال الإمام السجاد عليه السلام: «..والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق، وأجرى علينا طيبات الرزق، وجعل لنا الفضيلة بالملكة على جميع الخلق، فكل خليقته منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزته. والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه، فكيف نطيق حمده، أم متى نؤدي شكره، لا، متى. والحمد لله الذي ركّب فينا آلات البسط، وجعل لنا أدوات القبض، ومتّعنا بأرواح الحياة، وأثبت فينا جوارح الأعمال، وغذانا بطيبات الرزق، وأغنانا بفضله، وأقنانا بمنّه»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «.. يا مفضل! أول العِبَر والأدلة على البارئ جل قدسه، تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه، ونظمها على ما هي عليه، فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك، وجدته كالبيت المبنيّ المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده؛ فالسماء

---

(١) سمّى آثاركم: بين لكم أعمالكم وحدّدها.

(٢) نهج البلاغة: الخطب: ٨٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يبين صفات الحق جل جلاله ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة.

(٣) الصحيفة السجادية عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه.

مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكل شيء فيها لشأنه معد، والإنسان كالمملك ذلك البيت، والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة، ونظام وملائمة، وأن الخالق له واحد، وهو الذي ألفه ونظمه بعضاً إلى بعضٍ، جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه..» [1].

(١) بحار الأنوار: ج٣ ص٦١ ب٤ ضمن ح١.

الفهرس

الطموح لغة ٦
آية الطموح إلى المعالي ٨
الإنسان والطاقات المودعة فيه ١١
الطاقات الإنسانية في ظل الإسلام ١٢
أهل البيت عليهم السلام والطاقات الإنسانية ١٤
أهل البيت عليهم السلام قدوة وأسوة ١٥
التوازن في كل شيء ١٩
الكون والحياة متوازنان ٢٢
التوازن: السمة العامة للأشياء ٢٣
الطموح والأمل مقدمتا التوازن ٢٥
الشيعة إذا فقدوا الطموح والأمل ٢٧
الطموح إلى الآخرة ٣٢
الحج: تدريب على الطموح ٣٤
الطموح ومنافع الحج ٣٥
مخاوف الاستعمار من طموح المسلمين ٣٨
القضاء على طموح المسلمين ٣٨
طموح المسلمين في صدر الإسلام ٣٩

تخطيط شيطاني لتحطيم طموح المسلمين..... ٤٥
طموح المسلمين قبل ثلاثة عقود..... ٤٨
الطموح من أهداف الحج..... ٥١
الحديث الشريف وزماننا العصيب..... ٥٣
أهداف الحج في الحديث الشريف..... ٥٥
كل شيء من أجل الطموح والأمل..... ٥٧
معلم الطموح الكبير والأمل الصادق..... ٥٩
الطموح والتضخيم الإعلامي..... ٦٣
الطموح ومقومات النهضة الإصلاحية..... ٦٦
١. الوعي..... ٦٦
٢. التنظيم..... ٦٧
٣. الاكتفاء الذاتي..... ٦٨
٤. الطموح والأمل الصادق..... ٧١
من هدي القرآن الحكيم..... ٧٣
من هدي السنّة المطهرة..... ٧٧
الفهرس..... ٨٣